برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة السابعة عشرة:
احترام ذي الشيبة (1)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا عِلماً وعَملاً متقبَّلاً، أرنا الحق حقاً وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، وبعد:

أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

في عام (1982م) تفطّن العالم لمسألة كبار السن، وراح يفكر في تعامل أمثل معهم، فشهد المجتمع الدولي أكثر من فعالية دولية، من مؤتمرات وندوات عالمية، لتناول قضايا المسنين.

وأعلنت الأمم المتحدة، أن العقد التاسع من القرن العشرين عقد المسنين.

وسمّت الامم المتحدة العام (1999م) السنة الدولية لكبار السن، وجعلت شعارها "نحو مجتمع لكل الأعمار".

ثم تبنّى مؤتمر الأمم المتحدة الذي انعقد في مدريد عام 2002م خطة عمل لمعالجة مشكلات المسنين في مختلف بلدان العالم.

كان هذا التنادي والتداعي لمسألة كبار السن نابعاً من ازدياد أعدادهم، وظهور الحاجة إلى الاعتناء بهم ورعايتهم.

تقول إحصاءات عام (1995م) إن عدد الذين بلغوا الستين عاماً فأكثر في ذلك العام بلغ (380) مليوناً، بينما تتوقع إحصاءات عام 2000م أنهم بلغوا (590) مليوناً.

وتذهب **تخمينات الأمم المتحدة** إلى أن عدد المسنين في العالم سوف يتجاوز حد المليار ومئة مليون حتى عام 2025، أي إن نسبة ازدياد المسنين تتجاوز نسبة ازدياد السكان في العالم، ووفقاً لهذا التوقع فإن فرداً من كل أحد عشر فرداً من سكان العالم كان يبلغ الستين عاماً عام 1995 وسيصل هذا إلى واحد من كل سبعة أشخاص عام 2025.

وظهرت في العالم الغربي والشرقي غير المنضبط بديانات السماء قصص مروعة وتقارير مؤسفة تطالعنا بها الصحف اليومية ونشرات الأنباء:

- صدر تقرير عن وزارة الأسرة والشبيبة والكهولة في ألمانيا جاء فيه: إن هناك (440) ألف مسنّ تعرضوا لإيذاء جسدي ومعاملة سيئة مرة واحدة على الأقل عام 1993م، والغريب في الأمر أن ذلك الإيذاء صادر من أفراد الأسرة؟
- وهذه عجوز تموت جوعاً في شقتها بسبب ابنها الذي قطع عنها الماء والكهرباء والغاز، وأصبحت رهينة شقتها عاجزة عن الحركة حتى اكتشف الجيران أمرها، ولكن بعد فوات الأوان ! ويضيف الخبر أن أقرباء المسنَّة لم يُبدوا أيَّ اهتمام تجاه الأمر !!
- وذكرت مجلة (فوكوس) اليابانية أنه عُثر على جثّة مسن بعد مضي سنة ونصف من وفاته في شقته بأحد الأحياء الراقية جداً في مدينة طوكيو.
- وهذه مسنة عثر عليها في شقتها بمدينة طوكيو وقد ماتت جوعاً
- وهذا عجوز توفي وقد تجاوز عمره التسعين عاماً، إلا أن أحداً لم يدر بموته إلا بعد خمسة أيام، ومبعث الاستغراب أنه مات في دار خاصة بالمسنِّين في مدينة (سابور) باليابان ولم يشعر العاملون بموته رغم وجوده في دار خاصة برعايته والعناية به !!! وقد علم بوفاته بعض أفراد عائلته عندما جاؤوا لزيارته.

أما المجتمع المسلم فقد نَعِم فيه المسنون برعاية خاصة، لأن الإسلام تناول الحديث عن كبار السن منذ ألف وأربعمائة سنة ويزيد. عنايةً وإكراماً وبراً وتوقيراً ونفعاً وانتفاعاً.

وبرز في العالم الإسلامي مئات أو ألوف الرجال والنساء من كبار السن دان لهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه بالفضل والامتنان.

- **فالصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري** ﷺ لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى، ولزم الجهاد بعد النبي ﷺ إلى أن توفي في غزوة بالقسطنطينية، سنة 52ه وسنه يقارب الثمانين.

مرض أبو أيوب في آخر غزوة غزاها فأتاه قائد الجيش يعوده، فقال: ما حاجتك؟! قال: حاجتي إذا أنا مت فاركب بي، ما وجدت مساغاً في أرض العدو، فإذا لم تجد فادفني، ثم ارجع. ففعل.

جاء في أسد الغابة: (قيل: إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب لقد كان لكم الليلة شأن قالوا: هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا وأقدمهم إسلاماً، وقد دفناه حيث رأيتم).

دُفن أبو أيوب عند القسطنطينية، وعلى قبره مزار ومسجد.

- **والتابعي الجليل موسى بن نصير** -رحمه الله- فتح الأندلس هو ومولاه (طارق بن زياد)، وقسماً من جنوب فرنسا.

ويذكر التاريخ له قولته وهو شيخ كبير: (ما هُزمت لي راية قط، ولا فُضَّ لي جمع، ولا نُكِب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين، إلى أن شارفت الثمانين).

هذا ما يفعله الإسلام في النفوس، حين تمتزج مبادئ الدين مع نفوس معتنقيه، ورغم أن موسى بن نصير رحمه الله كان أعرج مسناً، توفي سنة 99ه، في المدينة النبوية وقد قارب الثمانين. [تاريخ الإسلام للذهبي: 2/279]

- **والحافظ الإمام أبو القاسم البغوي**: حافظ للحديث، كان محدث العراق في عصره، وطال عمره واحتاج الناس إليه.

مات وقد استكمل مائة وثلاث سنين وشهراً واحداً. كان طلاب العلم يسمّعون عليه حتى مات رحمه الله.

- **والحافظ العلامة عماد الدين أبو طاهر** أحمد بن محمد السِّلفي، الأصبهاني ثم الإسكندريّ المعمَّر، أحفظ الحفاظ وشيخ العلم والحديث مائة سنة. وُصِف بالمحدث الجهبذ المقرئ الأديب المؤرخ اللغوي الناقد الضابط المتقن. كان ينشد فيقول:

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة

جزت تسعين وأرجو أن أجوزن المائة

فحقَّق الله رجاءه، فمات عن مائة وأربع سنين. ولم يزل يُقرأ عليه الحديث حتى آخر يوم من حياته.

- **والتابعي عطاء بن أبي رباح:** مفتي الحرم المكي، عاش تسعين سنة، كان رحمه الله بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية، من سورة البقرة وهو قائم، لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

وهكذا برز المئات والمئات من كبار السن في عالم المسلمين، مما حدا أبا حاتم السجستاني (ت: 248 ه) أن يصنّف كتاباً في تراجم المعمَّرين من العلماء والفضلاء والدعاة، سماه "المعمرون والوصايا".

وهكذا يفجر الإسلام في كبار السن طاقاتهم ويجعلهم قوة فاعلة تفيد المجتمع وتنفعه مثلما تنتفع هي به.

ولعل أكثر ما يدفع المسلمين لاحترام المسنين وإكرامهم ورعايتهم أن زيادة العمر مع حسن العمل عندنا -نحن المسلمين- خير وفضل لا يعطاهما إلا من اختاره الله تعالى لفضله.

- ختاماً:

عن أبي بكرة ▲: أَنَّ رجلاً قال: **«يا رسول الله، أَيُّ الناس خير؟ قال: مَن طال عمره، وحَسُنَ عمله، قال: فأيُّ الناس شرّ؟ قال: مَن طَالَ عُمره، وساء عمله»**. أخرجه الترمذي.

وقال رسول الله ✕: **«ألا أنبئكم بخياركم من شراركم؟ خياركم: أطولكم أعمارًا وأحسنكم عملاً»** [أخرجه الحاكم وصححه]

وقال ✕: **«البركة مع أكابركم»** [ابن حبان والطبراني والحاكم]

وقال عليه الصلاة والسلام:

– ونبذ الإسلام قليل الأدب مع الكبير، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ليس منا من لم يُجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»** [أخرجه أحمد]. وفي رواية الترمذي: **«يوقر كبيرنا»**. وفي رواية الطبراني: **«ولم يعرف حق كبيرنا»**.

ويستطيع الباحث في أساليب تعامل الإسلام مع كبار السن أن يلحظ عناية الإسلام بالكبار من خلال أمور:

– أولاً: دعا الإسلام الشباب إلى إكرام المسنين عامة، والوالدين والأقربين خاصة
– ثانيًا: جعل الإسلام إكرام المسن من إجلال الله تعالى
– ثالثاً: قدم الإسلام المسن في وجوه الإكرام عامة
– رابعاً: أوجب الإسلام نفقة الوالدين المحتاجين على أولادهما، وإلا فعلى المجتمع المسلم عامة
– خامساً: راعى الإسلام المسنين في الأحكام الشرعية فرخص لذوي الأعذار منهم، وخفف عنهم
– سادساً: دعا الإسلام الجيوش المسلمة إلى رعاية المسنِّين في الحروب.

هذه ست نقط تبرز عناية الإسلام بالمسنين، ضاق الوقت عن شرحها في حلقة اليوم، نبسطها بصحبتكم في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته